الفصل الرابع
الرواية الشفوية والرواة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الرواية الشفوية والرواة

1ـ اعتماد الشعر الجاهلى على الرواية الشفوية:

الشعر ديوان العرب، وسجل مآثرهم ومفاخرهم، ومادمنا بصدد الحديث عن هذا الشعر فلابد أن نتعرض لكيفية وصوله إلينا عبر تلك الفترة الزمنية الطويلة. وبأى الطرق بدأ أولاً... بطريق الحفظ أم بالكتابة. ولماذا؟

ومن خلال دراستنا الجاهلية، وجدنا أن اعتمادها الأول فى رواية أشعارها كان يقوم على الحفظ، والمشافهة دون الاعتماد على الكتابة كوسيلة للرواية والتدوين.

وقد كان ذلك لسبب بسيط جداً. وهو أن العرب لم تكن أمة قارئة ولا كاتبة، وقد عرفوا ذلك لأنفسهم.

يقول الرافعي: "كان العرب أمة أمية لا يقرءون إلا ما تخطه الطبيعة ولا يكتبون إلا ما يُلَقّنون من معانيها فيأخذون عنها بالحس، ويكتبون باللسان فى لوح الحافظة، فكان كل عربى على مقدار وعيه وحفظه كتاباً، أو جزءاً من كتاب، وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمنى فى إحصاء الأخبار والآثار "[1].

ويقول الجاحظ مدللاً على اعتماد العرب على الحفظ دون الكتابة "وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام وليس هناك

---

(1) تاريخ آداب العرب، ج278/1، مصطفى صادق الرافعي. مطبعة الاستقامة، ط: ثانية سنة 1359هـ - 1940م"ضبطه وحقق أصوله محمد سعيد العريان.

معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام."[1].

ويقول الدكتور تمام حسان:

وكل أمة بحاجة إلى ذاكرة قوية تذكرها بماضيها وتراثها القومي، وتعينها على الاحتفاظ لنفسها بشخصية متميزة مستمرة فى التاريخ يتوارثها جيل عن جيل.. وليس من شك أن كتابة هذا التاريخ وتدوينه تعين على بقائه فى الذاكرة واضحاً دقيقاً عميقاً ولزمن أطول بكثير مما تسمح به المشافهة المجردة.

فعميرة بن جُعل هجا قومه وشتم عشيرته، وذاع ذلك السباب والهجاء على ألسنة الرواة. ثم ندم بعد ذلك، ولكنه لا يستطيع رده مرة أخرى بعد أن ذاع وانتشر.. كما لا يرد الدر فى الضرع حالبه.

ويعقب الدكتور: ناصر الدين الأسد، على المعنى المجازى للرواية: فيقول: "غير أن هذا الضرب الأخير من المجاز، وهو الحمل الأدبي، قد مرَّ كذلك فيما يبدو فى مرحلتين:

الأولى: خاصة بالشعر وحده - وتعنى مجرد حفظه ونقله وإنشاده، ولا يتجاوز ذلك إلى ضبطه، وتحقيقه والنظر فيه وتمحيصه.

واستمر مدلول هذه المرحلة الأولى فى تاريخ الرواية الأدبية حتى آخر القرن الأول - وبداية القرن الثاني.

فلما أصلت أصول علم الحديث وأرسيت قواعده، وعُنى فيه

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ، ج28/3، تحقيق وشرح عبدالسلام، ط: الخامسة سنة 1405هـ - 1985م، مكتبة الخانجى بالقاهرة.

بالإسناد، وتصدر المحدثون للحديث في مجالس العلم من حفظهم، وصار يطلق عليهم أيضاً لفظ الراوية، فصرنا نجد للمحدثين، في آخر القرن الثاني رواة كما كان للشعراء رواة.

ومن هنا دخلت الرواية الأدبية في طورها الثاني، وهو ما يصح أن نطلق عليه دور الرواية العلمية.

وهي تقوم على الحفظ والنقل والإرشاد كالرواية المجردة في دورها الأول، وأضيف إليها الضبط والإتقان. والتحقيق والتمحيص والشرح والتفسير وشيء من الإسناد "[1].

وأول ما عالجه الرواة فيما يرجح الأشعار والأنساب، وليس هناك ضرورة للغوص وراء البحث عن أيهما أسبق عن الآخر، ولكنني أرى أنهما نشأ في وقت واحد لظاهرة مشتركة، وهي الاعتماد المطلق على المشافهة.

وبعد هذا العرض الموجز لمعاني الرواية حقيقية ومجازية، نجد أنها تدور حول معنى الماء وما يحمل فيه وحامله. وحول معنى الحمل للشعر وحكايته من ذاكرة الراوي.

ولقد اعتمدت العرب لجهلها بالكتابة على الرواية والمشافهة لحفظ تاريخها وتراثها. وجعلت ذلك عادة في جاهليتها وصدر إسلامها"[2].

---

(1) مصادر الشعر الجاهلي، ص189: 190.

(2) الأصول للدكتور تمام حسان. جـ 84: 85، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1982م.

ومن ثم نشأ فيهم الأخذ والتحمُّل. فكان كل عربى بطبيعته راوياً فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه.. وثبت ما كان من صنيع الرواة أنفسهم، فى اتخاذهم الشعر عموداً للرواية والاستشهاد به على الخبر وسواه... "[1].

ومن يرجع إلى شعر هؤلاء الشعراء يجدهم يذكرون دائماً الرواية وأنها وسيلة انتشاره فى القبائل، فهى الوسيلة التى كانوا يعرفونها، وقد نفذ شعرهم من خلالها إلى كل الأرجاء.

يقول المسيب بن علس:

فلأهدينَّ مع الرِّياح قصيدةً .. مِنِّى مغلغلةً إلى القَعْقَاعِ

تَرِدُ المياه فَما تَزالُ غريبةً .. فى القوم بين تَمثُّل وسَماعِ[2]

فالشاعر الجاهلى يجعل الرياح تحمل قصيدته وتذهب بها كل مذهب فيتناقلها الناس ويحملونها.

وقد كانت العرب فى الجاهلية تجد فى رواية الأشعار إشباعاً لغرائزها الفنية وطموحاتها القومية، الأمر الذى دفع بهم للبحث عن مصادر ذلك الشعر.

فكانوا يقصدون الأسواق التى كانت فى الجاهلية بمثابة المراكز الثقافية التى يؤمها الشعراء من كل مكان لعرض أشعارهم، والالتقاء بغيرهم من الشعراء المشاهير.

---

(1) تاريخ آداب العرب للرافعى، ج279/1 - 280.

(2) المفضليات، ص62، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف.

يقول ابن قتيبة: "وكان النابغة تُضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها "[1].

ثم يكون الحكم على هذه الأشعار، وبعد انتهاء موسم السوق يعود كل شاعر إلى قبيلته، فيحدث بما سمع من قصائد جديدة.

وبهذه الطريقة تتم عملية الانتشار والشيوع للشعر الجاهلى الذى يصبح حديث كل لسان.

يقول حميد بن ثور الهلالي:[2]

لأَعْرَضَنْ بالسّهْلِ ثُمَّ لأَحْدُوَنْ .. قصائدَ فيها للمَعَاذِيرَ زاجِـــرُ

قصائدَ تستَحْلَى الرُّواةُ نُشَيدَها .. وَيَلْهُو بها منْ لاعب الحَىِّ سامرُ

فالشاعر يشبه ذيوع شعره وانتشاره، بإبل يحدو بها صاحبها وهى تسير فى السهل وذلك أيسر وأهون لها فى السير. فقصائده جميلة رائعة لذلك يتخذها السَمَار مادة للهوهم وحديثهم حين يسمرون:

وهكذا يتضح لنا أن العرب ككل الأمم البدائية لم تكن الكتابة قد أخذت مكانها بينهم.

والكتابة أثر من آثار المدينة والحضارة، والعرب أمة بدوية ومن أجل ذلك عدلوا عن الكتابة إلى المشافهة والحفظ. واعتمدوا عليها فى حفظ الشعر الجاهلي. يقول الرافعى " ولو أن الكتابة كانت فاشية

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج351/1، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة 1977م.

(2) ديوان حميد بن ثور الهلالى، ص89 تحقيق: عبد العزيز الميمني. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة 1951م، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة سنة 1965م.

فيهم ما عدلوا إليها ولا استغنوا بها عن الحفظ "[1].

وذلك مما جعل الدكتور تمام يقول: "وهكذا أضحت الرواية والمشافهة نمطاً سلوكياً عربياً لحفظ التراث والأمجاد القومية وورث الإسلام ذلك عن المجتمع الجاهلى "[2].

ومما يمثل تلقى الشعر وأخذه ما يروى عن أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - تمثل بشعر ثم قال لفرات بن زيد الليثي: "أتدرى من يقوله؟ فقال: "فرات بن زيد الليثى " لا أدرى يا أمير المؤمنين: "قال عمر هذا شعر أخيك " قسامة بن زيد ". قال: "ما علمته. قال: "بلى، هو أنشدنيه وعنه أخذته"[3].

وبهذه الطريقة كانت تتم عملية الانتشار والشيوع للشعر الجاهلي، وهكذا كانت الرواية الشفوية هى الأساس الذى اعتمد عليه الشعر الجاهلى فى ذيوعه وانتشاره. فقد ذكرها الكثير من الشعراء كطريقة لذيوع شعرهم.

وهكذا حفظ لنا رواة الشعر الجاهلى ذلك التراث العظيم فى قلوبهم وحملوه إلى غيرهم عن طريق الحفظ والرواية الشفوية حتى تم تدوين ذلك التراث فى العصور التالية للعصر الجاهلي.

يقول الدكتور / شوقى ضيف: "والحق أنه ليس بين أيدينا أى دليل مادى على أن الجاهلين اتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم،

---

(1) تاريخ العرب للرافعى، ج278/1.

(2) الأصول للدكتور / تمام حسان، ص85.

(3) الإصابة فى تمييز الصحابة، ج216/5، تأليف شيخ الإسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد ابن على المتوفى سنة 852هـ، المطبعة الشرفية سنة 1325هـ - 1907م.

ربما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد، ولكنهم لم يتحولوا عن ذلك إلى استخدامها أداة فى نقل دواوينهم إلى الأجيال التالية فقد كانت وسائلها صعبة تجعل من العسير أن يتداولها الشعراء فى حفظ دواوينهم.. ثم يستطرد فيقول: أما فى الجاهلية فكانوا يعتمدون على الرواية، وكان الشاعر يقف فينشد قصيدته، ويتلقاها عنه الناس ويروونها.

ومعنى ذلك أن النهر الكبير الذى فاض بالشعر الجاهلى إنما هو الرواية الشفوية "[1].

وهكذا يتضح لنا إلى أى مدى كان اعتماد الشعر الجاهلى على الرواية الشفوية، وأنها كانت هى الطريق الذى سلكه رواة الجاهلية لحفظ أشعارهم. وقد سار على ذلك النهج من جاء بعدهم حتى تم تدوين ذلك الشعر.

وبعد أن تأكدنا من اعتماد الشعر الجاهلى على الرواية الشفوية لابد لنا من الحديث عن رواة الشعر الجاهلي. ودورهم فى حفظ ذلك الشعر، ومدى العناية التى حظى بها الشعر الجاهلى من قبل المسلمين حتى تم تدوينه.

رواة الشعر الجاهلى:

أولا ـ الشعراء الرواة:

وتقصد بهم الشعراء الذين قالوا الشعر، ورووه عن غيرهم من الشعراء. فقد كان لزاماً على من يريد نظم الشعر وصوغه أن يلزم

---

[1] العصر الجاهلى دكتور/ شوقى ضيف،، ص140: 141.

شاعراً يروى عنه شعره، وما يزال ملازماً له، وراوياً لشعره حتى يتفتق لسانه وينساب بقول الشعر.

والشعراء الرواة هم الفحول، سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء، فقال: هو الراوية، يريد أنه إذا روي استفحل.

وقال يونس بن حبيب: "وذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة "[1].

وقال الأصمعي: "لا يصير الشاعر فى قريض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور فى مسامعه الألفاظ أول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً لقوله، والنحو ليصلح به لسانه، وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام الناس، ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم "[2].

ويتضح لنا مما سبق أن الفحل من الشعراء هو الذى تتلمذ على غيره من الشعراء وروي شعرهم، فجمع إلى جيد شعره معرفته بجيد غيره، حتى صار ذا بصيرة نافذة بالشعر وقوله.

ثم يضع الأصمعى مقياساً دقيقاً لتقاس به فحولة الشعراء، فالشاعر لا يصبح فحلاً حتى يروى أشعار العرب ويسمع أخبارهم، ويعرف المعاني، وتدور بخلده ويمسامعه الألفاظ. وبذلك يكون قد اكتسب من العلوم والمعارف ما يكون إطاره الشعرى ومخزونه الثقافى،

---

(1) العمدة لابن رشيق، ج197/1. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة سنة 1972م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(2) المصدر السابق، ج197/1 - 198.

الذى يساعده على قول الشعر والتفحل فيه. ثم عليه أن يتعلم العروض والنحو والنسب وأيام العرب.. ويجوز له أن يتتلمذ على يد غيره من الشعراء السابقين.

والملاحظ أن هذا النمط من الرواية يتكرر فى كل مرحلة. حيث إن كل شاعر يلزم شاعراً آخر ويتتلمذ عليه. فيسلم السابق اللاحق. إلى أن امتدت هذه الطريقة إلى نهاية العصر الجاهلي، وبداية العصر الإسلامي.

وكانت ثمرة هذا الأسلوب فى الرواية أن ظهرت فى الأدب ما يسمى بالحلقات أو سلاسل الرواة.

كما أطلق عليها الدكتور على الجندي، فمن هذه السلاسل، سلسلة المرقش الأكبر عم المرقش الأصغر، عم طرفة بن العبد، وسلسلة الهذليين[1].

وقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء: أن أبا ذؤيب الهذلى كان رواية لساعدة بن جؤية، وكان لأبى ذؤيب ابن يقال له مازن بن خويلد، ويكنى أبا شهاب. وهو أحد شعراء هُذيل. ومن شعراء هذيل المتنخل، وأبو خراش واسمه خُويلد بن مُرَّة وكان لأبى خراش أخ يقال له عروة بن مُرَّة، وكان شاعراً. وأخوه أبو جندب بن مُرَّة أيضاً، أحد شعراء هُذيل، وخُويلد بن مطول الهذلى كان شاعراً. ومالك بن الحرث وأخوه

---

[1] تاريخ الأدب للدكتور / على الجندى، ج168/1، مطبعة الأنجلو المصرى سنة1969م.

إمامة بن الحرث. شاعران . وأميمة بن أبى عائذ الهذلى كان شاعراً أيضاً[1].

وهكذا نجد أن هناك روابط أسرية وأواصر فنية تربط بين شعراء هذيل، وكذلك بين شعراء قيس بن ثعلبة.

يقول الدكتور شوقى ضيف: " ومن يقرأ ديوان الهذليين يجد أواصر فنية قوية تجمعهم وتربط بينهم، وعلى هذا القياس توجد وشائج واضحة بين شعراء قيس بن ثعلبة. فطرفة يروى للمرقش الأصغر، ويأخذ عنه ويروى هذا عن عمه المقرش الأكبر ويحتذى شعره"[2].

ويقول ابن قتيبة: " كان زهير جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه ابناه كعب وبجير وهما شاعران. وكان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه "المُضَرَّب" وولد لعقبة العَوَّامَ، وهو شاعر. فهؤلاء خمسة شعراء فى نسق: العوام ابن عقبة بن كعب بن زهير ابن أبى سُلمى، أبو سُلمى أيضاً شاعراً"[3].

فهؤلاء خمسة شعراء فى بيت واحد تجمعهم رابطة القرابة، ويروى لاحقهم لسابقهم، وتتلمذ على يديه حتى نبغوا جميعاً فى الشعر، وقد كان بيت زهير من أعظم بيوت الشعر فقد استمر فى الجاهلية وفى الإسلام زمناً طويلاً.

يقول ابن قتيبة: "إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج2/657، 661، 663، 667، 671.
(2) العصر الجاهلى للدكتور/ شوقى ضيف، ص143.
(3) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/147: 149.

الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير"[1].

ويقول ابن الأعرابي: "كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته شاعرة "سلمى". وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة"[2].

فكأنما خلق هؤلاء القوم للشعر واصطبغت نفوسهم به فكان لهم ما كان من شعر. ومكانة كبيرة بين الشعراء.

ويذكر لنا صاحب الأغانى سلسلة من هؤلاء الشعراء فيقول: "جميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية، وكان راوية هدبة بن خشرم، وكأن هدبة شاعراً راوية للحطيئة، وكان الحطيئة شاعراً راوية لزهير وابنه".

وقال أبو محلم: آخر من اجتمع له الشعر والرواية كُثيِّر، وكان راوية جميل، وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.[3]

ويقول ابن رشيق: "وكان الحطيئة راوية زهير، وكان زهير راوية أوس بن حجر، وطفيل الغنوى جميعاً"[4].

وهكذا نجد أنفسنا أمام سلسلة من الشعراء الرواة تبدأ بأوس بن حجر وتنتهى بُكثيِّر. حيث كان زهير راوية لأستاذه أوس بن حجر وتلميذاً له، وكان كذلك راوية لخاله بشامة بن الغدير، ثم صار زهير

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج143/1.
(2) ديوان كعب بن زهير، ص10 شرح ودراسة د. مفيد قميحة.
(3) الأغانى للأصفهانى، ج91/8، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992م.
(4) العمدة لابن رشيق، ج198/1.

أستاذاً لابنه كعب وللحطيئة، وكان كل من كعب والحطيئة راوية لزهير، وكان هدبة شاعراً وراوية للحطيئة، وكان جميل شاعراً وراوية هدبة بن خشرم.

وآخر من اجتمع له الشعر والرواية "كُثيِّر عزة" وكان راوية "جميل بثينة".

وقد تفرع عن تلك السلسلة من الشعراء سلسلة أخرى انحصرت فى بيت زهير، وهى تبدأ بزهير وتنتهى بالعوام بن عقبة وقد سبق الإشارة إليها.

وكان الشاعر الراوى إذا اختص برواية شعر شاعر آخر لابد أن يكون قد ملك عليه نفسه وحسه فيدفعه الإعجاب به إلى محاكاته والسير على نفس النهج الذى سار عليه أستاذه ففى بعض الأحيان " لا يرى ضيراً أن يستعمل بعض ألفاظه ومعانيه بل ربما استعمل أبياتاً بعينها وأحياناً لا يغير من البيت إلا القافية وأحياناً يستعمل الشطر الأول من البيت دون تغيير، وهكذا يكون أثر المحاكاة واضحاً بين الراوية وأستاذه.

وهذا فيما أعتقد سببه الأول الرواية الشفوية لشعر أستاذه والتأثر به، فها هو ذا الحطيئة الراوية والتلميذ يقول عن أستاذه زهير حينما سئل عنه: "ما رأيت مثله فى تكفِّية على أكناف القوافى وأخذه بأعنتها امتداحاً وذماً "[1].

ولمكانة الحفظ والرواية عند العرب، كانوا يعتبرون من يأت

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/149: 150.

بكثرة المحفوظ وسرعته فى الاستجابة لما يسمعه ويسجله فى مخيلته ضرباً من السحر، ويعبر عن هذا المعنى قول رؤبة فى صفة شاعر.

لَقَدْ خَشِيتُ أن تكون ساحِرَاً رَاويةَ مَرَّا ومرَّا شاعراً [1]

وقد ذكرنا سابقاً أن من طبقة هؤلاء الشعراء الرواة انتشرت "بيوتات الشعر" وهى انحصار الشعر فى بيت يضم الجد والأب والأخ والأخت والأحفاد، وكأنهم خلقوا للشعر وجعلوا منه شيئاً مادياً يرثه الأبناء والأحفاد. ومن أشهر هذه البيوتات بيت زهير كما ذكرت سابقاً.

وهذه تقاليد وسنن متبعة من الجاهلية وحتى العصور التالية لها، فكثيراً ما نجد أن الشاعر يرث شعر آبائه وأخواله وأعمامه.

فهذا امرؤ القيس بن حجر" أمه فاطمة بنت ربيعة بن الحرث. أخت مهلهل وكليب. ومن قبل خاله أتاه الشعر"[2].

وكذلك الأعشى خاله أبو الفضة. المسيب بن علس. ومن قبله أتاه الشعر[3]، وكان الأعشى راوية المسيب بن علس"[4].

وخُفاف بن ندبة أتاه الشعر من قبل خاله تأبط شرا.

ودريد بن الصمة أتاه الشعر من قبل خاله عمرو بن معد كرب[5]

وكذلك زهير بن أبى سلمى خاله بشامة بن الغدير، وهو القائل:

لا يَعْدَم السائلون الخير أفعله .. إما ذوالا وإما حُسَّنَ مردود

---

(1) العمدة لابن رشيق، ج197/1.

(2) سمط اللآلى لأبى عبيد البكرى، ص38، تحقيق عبد العزيز الميمنى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1354هـ - 1936م.

(3) المصدر السابق، ص39.

(4) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج180/1.

(5) سمط اللآلى للبكرى، ص39، وانظر أيضاً الشعر والشعراء، ج485/1.

ومن قبله أتاه الشعر[1].

ولزهير قصة مع خاله بشامة بن الغدير، ذكرها صاحب الأغانى حيث إن خاله بشامة عندما خضرته الوفاة، قسم ماله بين أهله ولم يجعل لزهير شيئاً من ماله. فأتاه زهير فقال: يا خالاه لو قسمت لى من مالك ! فقال: والله يابن أختى لقد قسمت لك أفضل من ذلك وأجزله. قال: ما هو؟ قال: شعرى وورثتيه"[2].

وهكذا يروى الشعراء شعر بعضهم، البعض ويجعلون من صلة القرابة أساساً لذلك الاهتمام فى رواية الشعر، الذى كان فى نظر بشامة بن الغدير أغلى من المال. واستمرت رواية زهير وأهله للشعر حتى العصر الإسلامي.

وفى ذلك يقول ابن قتيبة "إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير[3] ".

ونجد فى هؤلاء الشعراء الرواة اتجاهاً آخر حيث كانوا يتأنون فى إنتاجهم، فيهذبونه وينقحونه. يقول عنهم الأصمعي: "زهير بن أبى سُلمى، والحطيئة وأشباههما، عبيد الشعر[4]"، وذلك لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين وهؤلاء هم من عُرفوا فيما بعد بمدرسة عبيد الشعر.

---

(1) سمط اللآلى للبكرى، ص38: 39.
(2) الأغانى للأصفهانى، ج312/10، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992م.
(3) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج143/1.
(4) الأغانى للأصفهانى، ج312/10، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992م.

فعلى الرغم من شهرة الحطيئة كشاعر له قيمته إلا أنه أراد أن يقرن اسمه بكعب بن زهير وآله ليتوج تلك العلاقة التى كانت تربطه بهم كراوية لأشعارهم، بشيء يحفظ له تلك العلاقة، ويخلد ذكرها، وليس هناك أخلد من الشعر. فقال لكعب بن زهير: "قد علمتم روايتى لكم أهل البيت وانقطاعى إليكم، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك، ثم تذكرنى بعدك، فإن الناس أروى لأشعاركم، فقال:

فَمنْ للقَوَافِى شَأْنهاَ مَنْ يَحُوكُها .. إذا ما مضَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَرْوَلُ[1]

وكان الحطيئة يقول: "خير الشعر الحولى المنقح، وكان زهير يسمى كبرى قصائده "الحوليات" لأنه كان يتعهدها بالتنقيح والتهذيب فى مدة حول كامل، وكذلك قبل إخراجها للناس ولعل الإعجاب بشعر زهير وطريق صنعته للشعر هى التى جعلت الحطيئة وغيره من الشعراء يميلون إلى نهج وطريقه زهير فى التصنيع للشعر، فظهرت من بين هؤلاء الشعراء الرواة طبقة "عبيد الشعر".

ثانيا ـ رواة القبيلة:

تُعد القبيلة مصدراً من مصادر الرواية للشعر الجاهلي، لأن هذا الشعر هو ديوانهم الذى يسجلون فيه مفاخرهم وانتصاراتهم، ومثالب أعدائهم، وقد كانت القبيلة تقيم الأفراح وتدق الطبول إذا نبغ فيها شاعر.

وقد بلغ من عناية القبائل بالشعر، أن قبيلة تغلب كانت تعظم

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/162. الأغانى للأصفهانى، ج10/312، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1992م.

القصيدة التى قالها شاعرها عمرو بن كلثوم، وكان يحفظها ويرويها كل أبناء القبيلة وظلوا كذلك حتى هجاهم بعض شعراء بكر بن وائل حيث يقول:

ألْهَى بنى تَغْلبٍ عن كل مَكْرمُةٍ .. قصيدةُ قالها عمرو بن كلثوم

يَروُونها أَبداً مذ كان أوَّلُهُـــــم .. يا للرجالِ لِشعر غير مسئوم[1]

ولما كانت القبيلة مصدراً من مصادر شعر شعرائها، ومصدراً من مصادر الشعر الذى يمدحها به شعراء القبائل الأخرى.

أخذ العلماء الرواة فى القرن الثانى بعض شعر الجاهلية من هذه القبائل، ومما يرويه رواة منها من شعر شعرائها[2].

وفيما يلى بعض الأمثلة التى تدلنا على رواية أفراد القبيلة لشعر شعرائها.

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما أراد أن يسمع بعض شعر أمية بن أبى الصلت الثقفي، استنشد رجلاً من ثقيف، قبيلة الشاعر، وهو الشديد بن سويد الثقفي، فأنشده مائة بيت[3].

وعندما أراد عبد الملك بن مروان أن يسأل عن الشاعر ذى الإصبع العدواني، وعن أخباره، ونسبه، ولماذا سمى ذا الإصبع؟ وبم كان يسمى قبل ذلك؟ سأل فى كل ذلك رجلاً من قبيلة الشاعر، فلما أجاب الرجل عن كل ذلك. قال له عبد الملك: أدن منى فإنى أراك بقومك عالماً، ثم زاد له

---

(1) الأغانى للأصفهانى، ج54/11.

(2) مصادر الشعر الجاهلى للدكتور/ ناصر الدين الأسد، ص232.

(3) خزانة الأدب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادى، ج227/1- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة، سنة 1387هـ - 1967م.

فى عطائه[1].

ويذكر صاحب الأغاني: "أن ثمامة بن الوليد، دخل على المنصور، فقال: يا ثمامة أتحفظ حديث ابن عمك عروة بن الورد العبسي؟ فقال: أى حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه، قال: حديثه مع الهذلى الذى أخذ فرسه، قال: ما يحضرنى ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين.. وبعد أن روى ثمامة حديثه عن ابن عمه. قال: إن له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا.

فقال المنصور: "أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره."[2]

وكان هذا دأب الكثير من الخلفاء والمسلمين عامة، مما يدلنا على مدى اهتمام أفراد القبيلة بشعر شعرائها وكذلك مدى عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين من بعده بالشعر الجاهلى وروايته.

والكثير من كتب الأدب يذكر لنا رواية أفراد القبيلة أخيارها وشعر شعرائها، فإننا لو تصفحنا مثلاً كتاباً مثل كتاب " المعمرون والوصايا " لأبى حاتم السجستاني[3] لوجدنا أن كثيراً من أخباره مروية عن شيوخ من قبيلة المعمر، الذى يترجم له.

---

(1) الأغانى للأصفهانى، ج91/3: 93.
(2) المصدر السابق، ج83/3: 88.
(3) المعمرون والوصايا: لأبى حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر سنة 1966م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه.

ثالثا ـ الرواة من أبناء الشاعر:

لقد لاحظنا فيما سبق مدى عناية أفراد القبيلة برواية شعر شعرائها، وحفظهم لذلك الشعر. وإذا كان ذلك هو حال أفراد القبيلة مع شعرائهم. فماذا يكون الحال إذا كان هؤلاء الرواة من أبناء الشعراء أنفسهم؟

لا شك أنهم سيكونون أكثر حرصاً على رواية شعر آبائهم تخليداً لأمجادهم ومآثرهم التى يتضمنها ذلك الشعر. وقد ذكر لنا ابن قتيبة فى كتابه "الشعر والشعراء" الكثير من أبناء الشعراء الذين عاشوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلام. وحفظوا شعر آبائهم ورووه.

يقول ابن قتيبة: "وكان زهير جاهلياً لم يدرك الإسلام، وأدركه أبناه كعب وبجير، وهما شاعران "[1].

وقد مر بنا أن كعباً كان راوية لأبيه زهير بن أبى سلمى. "وكان للمتلمس ابن يقال له عبد المدان، أدرك الإسلام وكان شاعراً "[2].

ولعمرو بن كلثوم عقب، منهم العتابى الشاعر المشهور، واسمه كلثوم بن عمرو، ويكنى أبا عمرو، وكان كاتباً مجيداً فى الرسائل وشاعراً مجيداً، ولم يجتمع هذا لغيره، وهو من شعراء العصر العباسى"[3].

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج147/1.
(2) المصدر السابق، ج188/1.
(3) المصدر نفسه، ج242/1، ج867/2.

وزيد الخيل بن مهلهل من طئ- جاهلي. وأدرك الإسلام. وأسلم، وكان له ابنان ويقال لهما مكنف، وحريث، أسلما وصحبا النبي- صلى الله عليه وسلم- وشهد قتال الردة مع خالد بن الوليد. وحماد الراوية مولى مكنف[1].

والمرجح أنه روى لمكنف ولأبيه بعض أشعارهم فى الجاهلية والإسلام.

" والنمر بن تولب. كان شاعراً جواداً. وهو جاهلي. وأدرك الإسلام فأسلم. وكان له ابن يقال له ربيعة ". وذكر الأصمعى أن حماد بن ربيعة بن النمر بن تولب " قد روى:

أهيمُ بدَعْدِ ما حَييتُ فإنْ أمتُ .. أوصِّ بدعْدِ من يهِيمُ بها بَعْدي

فهو يروى البيت لجده " النمر بن تولب " أو لأبيه " ربيعة " على بعض الروايات[2].

" وحسان بن ثابت، شاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الإسلام ستين سنة - ومات فى خلافة معاوية.

وولد لحسان عبد الرحمن. وكان عبد الرحمن شاعراً. وكان له ابن يقال له سعيد بن عبد الرحمن. وكان لحسان بنت شاعرة "[3].

وكان أمية بن أبى الصلت شاعراً. وأبوه أبو الصلت الثقفى شاعراً وكان لأمية ابن يقال له القاسم وكان شاعراً[4].

والأعور الشني: وهو من عبد القيس، وكان شاعراً محسناً. وله

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/292.
(2) المصدر السابق، ج1/315، 316.
(3) المصدر نفسه، ج1/311، 313.
(4) المصدر نفسه، ج1/466: 469.

ابنان شاعران أيضاً. يقال لهما: جهم وجُهيم[1].

وأبو ذؤيب الهذلي. كان له ابن يقال له مازن. ويكنى أبا شهاب. وهو أحد شعراء هذيل[2].

وهكذا نجد أن كثيراً من هؤلاء الشعراء وأبنائهم وإخوانهم قد عاشوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلام وأمتد بهم العمر إلى العصور التالية، وكانوا يفدون على بعض الخلفاء فيستشدونهم شعراً لآبائهم وقد أخذ العلماء الرواة بعض هذا الشعر عنهم.

فقد دخل متم بن نويرة على عمر بن الخطاب يوم استشهد زيد. فقال له عمر: أنشدنى بعض ما قلت فى أخيك فأنشده شعره، الذى يقول فيه:

وُكُنَّا كَنَدْمانَى جَذِيمَة حِقْبَة .. مِنَ الدَّهْرِ حتَّى قِيلَ لَنْ يتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كأنِّى ومالِكـــا .. لطُولِ اجْتَماعٍ لم نَبِتْ لَيْلَةً معَا

فقال له عمر: يا متم، لو كنت أقول الشعر لسرنى أن أقول فى زيد ابن الخطاب مثل ما قلت فى أخيك.

قال: متم: يا أمير المؤمنين لو قتل أخى قتلة أخيك ما قلت فيه شعراً[3]، فقال عمر: يا متم. ما عزانى أحد فى أخى بأحسن مما عزيتنى به.

وكان لمتم ابنان: إبراهيم وداوود. وكانا شاعرين خطيين. ودخل

---

(1) المصدر نفسه، ج643/2.

(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج661/2.

(3) يريد أن زيد بن الخطاب قتل يوم اليمامة شهيداً، وأما مالك بن نويرة قتل على الردة. فهو أشد أسى عليه.

إبراهيم بن متم على عبد الملك بن مروان، فرأى فيه عقلاً وفضلاً، فقال له: أنشدنى بعض مراثى أبيك وعمك فأنشده:[1]

ودخل ابن أبى محجن الثقفى على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذى يقول:

إذا متُ فادفنّى إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ .. تَرَوَّى عظَامِى بَعْد موتى عروقها

ولا تَدْفنَنى بالفَلاةِ فإنَّنـــــــى .. أخافُ إذا ما متُ أن لا أذُوقُهـــا

فقال ابن أبى محجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره، قال: وما ذاك؟ قال: قوله:

لاَ تِسْألِ الناسَ: ما مالى وكَثْرَتُهُ وسائلِ القَوْمَ: ما حَزْمى وما خُلُقِي؟

القَوْمُ أَعْلَمُ إنى من سُرِاتهِـــــمإذَا تَطِيشُ يَدُ الرِّعد يدَه الفَرقِ[2]

فالشاعر هنا يريد أن يذكر الشعر الذى يُعلى من منزلة أبيه وقدره بين الناس. لا الشعر الذى يذكر فيه حبه للخمر.

" وقد أخذ العلماء بعض شعر تميم بن أبى مقبل عن ابنته أم شريك، بل إنهم رووا عنها تفسيرها لكلمات كثيرة فى شعره "[3].

وهكذا يتضح لنا مدى اتصال رواية الشعر من الجاهلية حتى الإسلام. وإن تلك الرواية لم تنقطع وإنما ظلت متصلة فى أبناء الشعراء الذين حفظوا الكثير من شعر آبائهم ورووه. وفى اهتمام الخلفاء ورعايتهم للشعراء.

---

(1) الشعر والشعراء لابن قتيبة، جـ1/345: 346 وانظر أيضاً: معجم الشعراء للمرزبانى ص240.

(2) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/431.

(3) معجم ما استعجم للبكرى "أذرع "ج/131.